دراسة المضامين السياسية والاجتماعية في أشعار محمد عبدالرحمن الحلوى (ديوان "أوراق الخريف" نموذجاً)

The study of political and social ideas in the poem of Mohammad Abdul Rahman Al halawi bassed on the Divan ouragh Al kharif

أ.سيمين ضيايى[1] - د. على خضري[2،*]

[1، 2] جامعة خليج فارس، بوشهر - ايران

تاريخ الاستلام : 2019-06-30؛ **تاريخ القبول :** 2020-04-27 ؛ **تاريخ النشر :** 2020-11-30

ملخص:

هذه الدراسة وفقا للمنهج الوصفي –التحليلي تحاول أن تدرس أشعار مُحَمَّد عبدالرحمان الحلوي لتبيين آرائه السياسية والاجتماعية. تظهر نتائج البحث أن الحلوي، الذي أمضى 34 سنة من حياته في نفس الوقت الذي كانت فيه الدولة الفرنسية في بلده، يحدد مرارا وتكرارا مع نظرته العميقة الهوية الحقيقية للمغتصبين وجعل الشعب على بينة من أهدافهم الشريرة، جنبًا إلى جنب حب الوطن، ذكرى مجد السلف، الأمل في النصر والمستقبل الأفضل و.... . كما قد اهتم بمسلمي البلدان المغتصبة الأخرى كشاعر له نظرة شاسعة للعالم، وقد وضع قصائده صراخا عاليا للشعبين اللبناني والفلسطيني وبعض البلدان الإسلامية الأخرى، معبراً عن ذلك بلغة واضحة. يعتبر مُحَمَّد عبد الرحمن الحلوي أحد الشعراء السياسيين الاجتماعيين الذين إنتقدوا المستعمرين بصراحة ووضوح في قصائده وتقدموا في سبيل التعديلات، وكذلك كانت أفكاره المناهضة للإستعمار بارزة في أشعاره

الكلمات المفتاحية : الشعر العربي المعاصر ; الآراء السياسية والاجتماعية ; مكافحة الاستعمار ; مُحَمَّد عبد الرحمن الحلوي ; ديوان أوراق الخريف.

Abstract:

The present study uses a descriptive-analytical method to elaborate the views of Mohammad Abdul Rahman al-Halawi in his poems. The result of the research shows that Al-Halawi, who spent 34 years of his life at the presence of French in his country, had a deep insight and repeatedly portrayed the real identity of the perpetrators besides reminding of the glory of the past, the hope of victory and the better future to make people aware of their evil intentions. He also had not been ignorant of the other Muslims in other usurped countries, and as a poet with a vast worldview, his poetry cries out for the people of Lebanon and Palestine and some other Islamic countries, and has expressed this in an explicit language. To influence his audience, he has used some figures of speech such as simile, metaphor, metonymy etc., and by repetition of certain letters and phrases and establishing inter-textuality with other texts, had added to the richness and dynamics of his poetry.

Keywords: Contemporary Arabic poetry ; Sociopolitical Thought ; Mohammad Abdulrahman al-Halawi ; Anti-Colonialism ; Divan ouragh Al kharif.

***المؤلف المرسل:** alikhezri84@yahoo.com

1.المقدمة

يطل المغرب على البحر الأبيض المتوسط شمالا والمحيط الأطلسي غربا، يتوسطهما مضيق جبل الطارق، تحدّه شرقا بلد الجزائر وجنوبا موريتانيا. قد واجه هذا البلد الاستعمار ومصائبه في العصر الحديث وفرض على المغرب نوع من الحماية سنة 1907م حتى 1914م وجُعلت أراضيه تحت سيطرة فرنسا وإسبانيا بحسب ما تقرر في اتفاق فاس سنة 1912م.[1] بدأت المقاومة ضد الاستعمار في الجبال وفي المدن منها ثورة الريف في الشمال؛ حيث تقوّت المعارضات ذات النزعة الوطنية فنظمت مظاهرات عديدة ودعا رجال الحركات الوطنية إلى الكفاح المسلح ضد الفرنسيين حتى أعلن استقلال المغرب.

لا شك أن هذه الحماية أثّرت على الأدب المغربى، وتكلم ويتكلم أدبه من الشعر والنثر عن الأوضاع المضطربة حين استعمرته الفرنسا، لأنّ على الأديب أن يسعى في طريق رقي مجتمعه، وأن يصبح نور الهداية لشعبه وأن يدافع في هذا الاضطراب السياسي عن أمته أمام الاستبداد والاستكبار.

كما أنّ «قلم الكاتب أو الشاعر مسؤول اجتماعي وليس فعل كفعل القلم الاجتماعي بكل ما تنطوي عليه كلمة اجتماعية من شؤون الأمة والشعب والقوم والوطن والإنسانية والديمقراطية، ويتحدث عن شكوى الناس وسلطة لا تجيب والثورة في وجه الظلم، وهكذا يصوّر عالم الأطراف وواقعه العام والخاص في أشعارهم.»[2]

فبما أنّ الأديب اجتماعيّ بطبعه، فهو يريد أن يتطابق مجتمعه، ويعي مجتمعه وعيا كاملا بكل قضاياه وأحداثه. فالأدباء هداة الطريق والمرآة الصافية لمسير الشعب ولقد كان للشعر دوره، حيث انطلق الشعراء وراء الثورة يغدونها ويعلنون عن تأييدها، وانطلقت حناجرهم، عن شعور عام بالقضايا السياسية التي منها: إعلام الثورة، الزور، الاستبداد، استغلال النفط، الاختناق و... .

1-1- أسئلة البحث

نحن في هذا البحث بصدد الأجابة عن هذه الأسئلة:

1. ماهي أهم عناصر الآراء السياسية والاجتماعية في أشعار مُحَمَّد عبدالرحمن الحلوي؟

2. ما سبب اهتمام مُحَمَّد الحلوى بالآراء السياسية والاجتماعية في شعره؟

1-2- خلفية البحث

هنالک بحوث اجريت في مجال الآراء السياسية والاجتماعية نشير إليها: بحث بعنوان«مقارنة المناهج الضد الإستعمارية في تياري الشعر الكلاسيكي والمعاصر في العراق» للكاتبة معصومة نعمتي وآخرين طبعت في مجلة الأدب المقاوم عام2010. قام المؤلفون فيه بدراسة أشعار ضد استمعارية لأربعة من الشعراء المجددين في العراق وتوصلوا إلى أن الاشعار الكلاسيكية أكثر صراحتة ووضوحا واما عن الأشعار الحديثة فهي اكثر ميولا إلى التلويح والكناية. وبحث آخر

بعنوان «انعكاس الإستعمار في الشعر المعاصر بين الحربين العالميتين» للكاتبة منصورة زركوب، المنشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعة شيراز عام 2002، ويشير إلى دور بعض الشعراء العرب في فضح الإستعمار وخداع المستعمرين. وايضا نُشر بحث «الإستعمار في قصائد ملك الشعراء بهار وجميل صدقي الزهاوي» لمحمد صادق بصيري وراضية نورمُحَمَّدي، المنشور في مجلة اللسان المبين السنوية عام 2011. تشير أهم نتائج هذه الدراسة إلى أن الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية في كلا البلدين، تأثرت بأحداث مماثلة في العصر الراهن. فتشابهات في السياسة والمجتمع تسببت في التشابه في الأفكار والموضوعات الأدبية. ولم نجد أيّ كتاب أو رسالة تتطرّق إلى الموضوع المذكور حول الشاعر المغربي مُحَمَّد عبدالرحمن الحلوي وهذه الدّراسة بامكانها أن تكشف عن أهمّ آراء السياسية والاجتماعية في شعر هذا الشاعر المعاصر وتكون جديدة لم يتطرّق إليها أحد من قبل.

2–مُحَمَّد الحلوي مولده ونشأته

مُحَمَّد عبدالرحمن الحلوي هو أحد الشعراء المناضلين والذي كان من كبار الشعراء في المغرب؛ إنّه ولد سنة 1923 بفاس وتوفي سنة 2004م بتطوان، والتحق الشاعر بجامعة القرويين وحصل منها على الشهادة العالمية. قلّما يأتي الزمان بمثلها في ذاقتها الشعرية، وأناقتها اللغوية. شعره يؤثر في النفوس بسبب روعة أسلوبه وجماله وقريحته ورغم كثرة شعره، فإن لكل قصائده جمالها ورونقها. فهو ككثير من الشعراء يدعو إلى الإخاء والتآخي بين البشر. بدأت تجربته الشعرية في العقد الثاني من عمره وعايش خلال شبابه صراع السلفية ضد الانحراف الديني، والصراع السياسي ضد الاستعمار، وكان يعبر عن رأيه بالحرف والكلمة مما جره إلى السجون.

فله بعض المؤلفات منها:

-دواوينه الشعرية:

-أنغام وأصداء 1965

- شموع 1988

-أوراق الخريف 1996

-أنوال (مسرحية) 1986

- معجم الفصحى في العامية المغربية.

مُحَمَّد عبدالرحمن الحلوي هو من فطاحل الشعراء الّذين رفعوا رأس المغرب عاليا في محافل الأدب وأندية الشعر، وجاوزت شهرتهم حدود بلادهم لتدوى أسماؤهم شرقا وغربا، وهو الشاعر المجيد الذي تعترف الأمة العربية بشاعريته المتميزة، وتضعه في موقعه اللائق بين أقطاب الأدب والشعر في العالم العربي والإسلامي.[3] «كان مُحَمَّد عبدالرحمن الحلوي من آخر الشعراء المعاصرين، الذين حافظوا على الشعر القديم، في أسلوب أبي نواس، والمتنبي، والبارودي وشوقي، وأصبح

رائد الحركة الأدبية المعاصرة. تعبر فاس، مسقط رأس الشاعر مدينة إنسانية، بمعنى أن المدينة تلبي جميع الاحتياجات الجسمية والعاطفية والروحية، وهي مصدر الفن الإسلامي. إنها واحدة من أكثر المدن الأصيلة والدينية في المغرب.»[4]

«ولد الحلوي في مدينة العلم والتربية، ففي العقد الثاني من حياته، كتب الشعر بذوقة الشعري وقدراته اللغوية وحارب في شبابه السلفيين والانحرافات الدينية، ومن جهة أخرى، تسببت معاداة الاستعمار الفرنسي وبيان الحقائق والتعبير عنها بلسانه اللاذع ولغة الشعر الصريحة، له بمشاكل فسجن مرارًا وتعرّض للتعذيب.»[5]

3– المضامين السياسية والاجتماعية في أشعار مُحَمَّد عبدالرحمن الحلوي

يشير الحلوي في بعض أشعاره إلى آرائه السياسية والاجتماعية ويجعل شعره منبرا لبيان الأوضاع والمشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ويوجّه أذهان الناس إليها وحينما رأى المظالم والمشاكل وصل إلى حده الأقصى، أنشد أشعارا مؤثرا لتحريك الناس للمقاومة، قبال ظلم الطغاة والجبارين في أنحاء نقاط العالم. ومن أهمّ المضامين السياسية والاجتماعية:

3–1–حب الوطن واعتلاء شأنه

قد وقع الوطن موضع اهتمام كثير من الشعراء الاجتماعين السياسيين واللذين جاؤوا بأشعار المقاومة والوطنيات وما أصعب لهم أن يروا انتشار الفوضى والظلم فيها. «الأدب الوطني يشمل كل جنس أدبي ويرصد منازع الشعب ضمن هذا النطاق ويصوّر مشاعره ومطامحه وآماله وآلامه. والأدب الوطني هو المعبّر عن قضايا الشعب الذين يقطن قطرا معينا.»[6]

مُحَمَّد الحلوي يحبّ وطنه وحبّه ليس ضربا من الدعة والترف، وليس ضربا من رومانسية، إنّه حبّ المكافحين للفساد، الذين يجدون في حبّهم للأرض ملاذا وخلاصا، ويتخذون من حبّهم لها حافزا إلى مزيد من التحدّي والنضال. يبرز الحلوي حبه لوطنه وربيعه قائلا:

رَبيعُ أرضي التِي عانَقتُ تُربَتهَا جَنَّاتُ خُلدٍ إلَيها تَطمَحُ المُقَلُ

لَو يَشتَهي المرءُ فِردَوساً يقيمُ بِهِ ما كانَ عَن خُلدِهَا المَوعُودِ يَنتَقِل

هَبّت نَسائِمُ مِن فَاسٍ تُذكرِنِي رَبيعَهَا بِسَبُو والزَّرعُ مُكتَمِلُ[7]

فالشاعر الثائر، ترسم وتحد عواطفه لأرضه وهو وضع نفسه وكل مشاعره ووجدانه داخل إطار أرضه، وإنّما تنجلي هذه بروعتها وضخامتها في حرارة التعبير العام عن وجدان الأُمة؛ تعبيرا تتمثل فيه كل أماني الأمة وآمالها في الانتصار على التخلف والانحطاط والارتفاع بمستوى الإنسان العربي إلى ما يكفل له حياة أفضل، واجتياز حدود هذا التخلف إلى مكان يحتفظ فيه بكرامته وحريته.

يشبّه الشاعر أرضه بجنات خلد تشتهيها النفوس وتشبيه الوطن بالجنة والفردوس من عادة الشاعر حيث يقول في مقطع آخر:

بِلاَدِي جَنةٌ لَاحَظَّ فيها لِمَن عَقُّوا أَمُومَتها وجَارُوا

تُكَرّمُ كُلَّ شَهمٍ من بَنِيهَا وتَصهَرُ مَن يَقومُهُ انصِهَارُ ![8]

وهذا هو نشيد الشاعر المغربي الذي يهتمّ بوطنه ولا يبادل كوخا في أرضه بكنوز الأرض كلّها، وهذا أمر طبيعي لأنّ من يحبّ وطنه لا يقابله بشيء.

فأحياناً يتحدث عن مواطنيه واصفا همومهم ودموعهم:

أيمُوتُ طفلٌ في نظَامٍ عادلٍ وتُصفّقُ الأيدِي لِمَن يَغتالَهُ؟

أيَعيشُ شعبٌ في الخيَام مُشرّداً ويُداسُ مَسجدهُ، ويُنهَبُ مَالُهَ[9]

ينتقل الشاعر من حبّ الوطن إلى حبّ مواطنيه والذين يتعذبون من الظلم. إنه يحب مواطنيه ويشتكي من أولئك الذين قبضوا عليهم في مثل هذا اليوم ويخاطبهم في قصائدهم الشعرية عن مظالمهم وتشرد الناس عن وطنهم.

3-2- التعبير عن ظلم المستعمرين

كلمة «ظلم» قريبة من حيث المعنى والاصل إلى كلمة«ظلمة»؛ لأن «الظلمة ناتجة عن الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين.»[10] اذا اعتبرنا امريكا وبريطانيا وفرنسا وباقي الدول الاستكبارية والغير شرعية اعلاما للظلم والهيمنة فسوف لن نعثر على دولة اسلامية لم تجرب شعارات ضد الظلم والجور. فلسطين والعراق وسوريا ومصر والمغرب تدخل ضمن الدول التي لم يخفق دوي احتجاجاتهم ابدا وحاول الشعراء بسلاحهم الروحي وأشعارهم ترغيب المناضلين وتشجيعهم على الحرب والنضال. يرسم مُحَمَّد الحلوي أجواء الظلم بلحنه الحزين كالتالي:

أطفَالُنا هَدَفٌ لنِارٍ وَشُيُوخُنَا مَوءُودَةٌ تَحتَ

أخشَى أزِيزَ رِصَاصِهِم جَحيمِهِم يشوى

ينسج الحلوي أبياته بحزن يغمر روحه ويتكلم عن قساوة قلب العدو؛ العدو الذي يسفک دماء الأطفال والمدنيين. يروي حكاية قلوب أطفال أصبحت هدفا لرصاص عدوان الظالمين، أطفال يحملون في صدورهم آلاف الخناجر السامّة. يتحدث الحلوي متأسفا ومتأثرا عن دفن أعلام بلاده تحت الأنقاض وهم أحياء ولاقبة لهم ولا مزار. يواصل الشاعر في بيته الثاني دون خوف او أباء اطلاق أشعاره القارعة الملتهبة على الظلم والهيمنة مبينا حجم الخوف والمتوسع باطرافه؛ خوفا اصبح ملازما وقتل الناس وسط لهيب النار ودوي القذائف. وايضا يقص قصة أبدان المناضلين وهي تتقطع أشلاء في ميدان النار وتحليقها إلى الآفاق.

لم يحصر الشاعر نفسه في موطنه بل يرى هذا الالتزام في وجوده وإجتماعه تجاه باقي الدول الاسلامية ايضا ولم يغفل عن الظلم والاستبداد السائد في هذه الدول وعكَسها في أشعاره.

مُحَمَّد الحلوي لبيان ما يحصل من جور وإستبداد في هذا البلد؛ أبيات تنم عن مدى عظمة غضب وإستياء الشاعر من حكامه:

قَد انطَفَا النُّوُر فِى غُرَابُ بَينَ عَلى إيوَانِهِ

مُصَابُ مِصرَ إذَا عُدَّت بِمِثلِهِ لَم تُصَب يَوماً وَلَم

يقول الحلوي في هذه الأبيات أن حكماء الجور ذهبوا بجمال ورونق مصر وإليوم لاترى أثرا من روعة الربيع هناک ولا أثر للعزة والجبروت التى صادرها الحكماء وترى غراب الاستكبار جالسا على خرابها. يتطرق الحلوي في البيت الثاني إلى المصائب التي حلت بهذا البلد على أيدي المستعمرين ويروى مدى غصبه بقول إن مصر لم تشهد بتاريخها مثل هذه الأيام العصيبة.

3-3-الدعوة إلى الكفاح

الحلوي كشاعر سياسي معارض للاستعمار يوظّف نفسه لكي يحرّك الناس للمقابلة والقيام بالظلم والاستكبار الذي طالما يعاني منه الشعب المغربي، ويصبح مشعل الهداية للمغربي في طريق المقاومة، ويشجّهم ويقول إننا نحتاج إلى قدر من الشجاعة لكي نتغلب عليهم وهذا لا يمكن إلّا إذا قمعنا الظلم، فحينئذ نصل إلى الارتياح:

وظَنُّوا قَهرَ أُمّتِنَا مُراداً يَسيراً لايُجشمُهُم عَنَاءَ

فَكَانوا كَالوُعُولِ أَتت لَتُوهِنَه فَلَم تَحمَد لِقاءَ!

تَحَدّينَا وَمَازَالَ التحدّي لَنَا خُلُقاً لِمَن أبدَى

يرى الحلوي أرضه كصخرة صلبة لا يمكن لأحد اختراقها. في الوقت نفسه، يدرك الكرامة في النضال ضد الأعداء الذين يسعون إلى إلحاق الأذى بشعبهم. كما أن التكرار اللفظي للضمير "نا" في نص الشعر له علاقة قوية بالأبعاد النفسية لضمير الشاعر، فإن الشاعر يؤكد على الوحدة إلى جانب خلق موسيقى داخلية في أبياته هذه.

يقول الشرباصي حول الشعر وكيفيته:«إنّ خير ألوان الشعر عند الأوطان والمجتمعات ما جاء قويا ملتهبا مستعرا للنفوس دافعا إلى النضال، لأنّ هذا الشعر يجدّد الهمم ويبثّ الهزائم ويحرض على المكرمات.»[14] وهذا صوت الشاعر الذي اعتمد في أغلب قصائد المراحل الأولى من شعره، الأسلوب المباشر في التحريض على الثورة. وربما كان الهدف الأول والمهم في اتباع عبدالرحمن هذا الأسلوب أنّ الشعر عنده مهمة، ومهمته تتحدّد بتأثيره على الجماهير، وإثارة نار الحقد في صدورها، لتهبّ بالتالي مدافعة عن أرضها وحقّها.

يتحدى الحلوي المستعمرين في القصيدة "المجد للحر" قائلا:

إذَا الشّعبُ يوماً أرَادَ الحَيَاةَ رَمَى الطِفلُ أعداءَه بِالحَجَر!

وَمَن كَرِهَ القيدَ لَم يكتَرِث إذا مَا تَحَدّى بِوخزِ الإبَر!

وقَدّمَ لِلموتِ أبنَاءَه قَرَابينَ تَقهَرُ كُلَّ خَطَر

تَشُقُّ الفَضَاءَ حَنَاجرُهَا وتَزحفُ فِي سِيرهَا كَالقَدَر![15]

ويؤمن بأن الشعب إذا أراد الحفاظ على استقلاله وكرامته يجب أن يقاتل أعداءه بأي طريقة، ولو بقطعة من الحجر، ولو اضطروا إلى تقديم أبنائهم إلى الموت.

وبالإشارة إلى قصيدة "إرادة الحياة" للشاعر التونسي أبي القاسم الشابي، يرى الشاعر معنى الحياة في الصحوة والثورة والنضال. ويعتقد أن الطريقة الوحيدة لتحرير الاستقلال هي إرادة الشعب، وليس هناك شيء أصعب من إرادة الشعب في مسير الانتصار.

ثم يشير إلى الأحرار والمناضلين الشجعان قائلا:

أرَايتَ الجِبالَ تَركُضُ زَحفَا والرياحَ الهَوجَاء تَعصِفُ عَصفَا؟

هَل رأيتَ البِحارَ وهي غَضابٌ تَتَحدّى وتَقذِفُ المَوجَ قَذفَا؟

إنَّهَا كَالأحرَارِ في مَوكِبِ المجـ دِ، يَلَبُّونَ داعِي المَجدِ صَفّا

بِقُلوبٍ إلَى الأحِبَّةِ ظَمأى وَحَشودٍ إلَى الشّهَادَةِ لَهفَى[16]

الحلوي يدعو الناس إلى الاهتمام بالطبيعة والعبرة عنها في طريق المقاومة. فانّه في التشبيه التمثيلى والتشبيه التسويه، التي لها وجوه الشبه بشكل مركب ومتعدد الأبعاد، تشبه الجبال التي تزحف والرياح التي تعصف غضبا وقوة، والبحر الذي تقذف الأمواج غضابا بالأحرار والمجاهدين في طريق استقلال الوطن. وبما أنه جاء بعديد من المشبهات لمشبه به واحد فانزياح البيت يكون بسبب التشبيه التسويه.

فهذه القصائد دعوة للانتفاضة في وجه الظلم والظالمين واستنكار لدعاوي تثبيط الهمم والصبر على البلاء بل يرى ضرورة المجابهة والعمل على التصدي له بكل قوة. فالشعب المغربي قادر على فعل الكثير، ويجب عليه الخروج من الحالة السلبية والتأمل في الواقع المرّ المرير والقفز إلى العمل العام لتغيير الأوضاع القائمة؛ تغيير يصلح الأحوال ويحيي الآمال في العيش الكريم.

3-4- وصف الاضطرابات

تعكس قصائد الحلوي الفقر ومعاناة حقبة الاستعمار الفرنسي على المغرب الكبير، وتظهر المعاناة والألم الداخلي للأمة المغربية، وهي الأمة التي اشترت هذه التضحيات والمصائب لكنها لم تستسلم أبدا للاستعمار.

«الفقر الإجتماعي(Social poverty)يقصد به عدم المساواة الإجتماعية، والمركز الذى يحتله ويأخذه الفقير يكون وفقاً للمعايير والقيم الغالبة والسائدة فى المجتمع».[17] يعتبر الفقر مشكلة عالمية وظاهرة اجتماعية ذات امتدادات اقتصادية وانعكاسات سياسية متعددة الأشكال والأبعاد. وهي ظاهرة لا يخلو منها أي مجتمع، مع الاختلاف الكبير في حجمها وطبيعتها وفئاتها، لكنّه في العادة يتفاقم في المجتمعات النامية ومن بينهما المغرب.

يشير الحلوي إلى هذه الأوضاع الصعبة قائلا:

ما قيمةُ العِلم إن ضاعَت بما نُعدُّه للتدميرِ من عُدد؟
ترمَى الملايينُ في الأجوَاء سابحةً والجُوعُ يرمي ملايِيناً من المعَد!
خاضُوا إلى القَمَر الآفَاقَ في كالجنّ لاتخشَي من رَاجمٍ رصَد[18]

يشتكي الحلوي من جوع شعبه ويعتقد أنه لا قيمة في العلم وانتشار المعرفة عندما تموت البشرية على الأرض بسبب الجوع.

لقد سئم الشاعر من هذه الحالة، وفي مقطع آخر، يتمنى أن يعود الربيع مرة أخرى، ربما بواسطة هذا الربيع، ينمو ربيع البشرية ويزيل الشر عن العالم:

ليتَ الربيعَ أحَال دُنيانَا إلَى وَاحاتِ حُبّ، وانمَحَت
وأعادَ للإنسانِ إنسانيّةَ قَد مزَّقت أقدَاسَهَا أظفارُهُ!
ومَتى سَيُرسي مَركبٌ في شطِّهِ إن كانَ معتسفاً بِهِ بَحّارُهُ؟[19]

الشاعر دائما يستلهم من الطبيعة للتعبير عن مقاصده. في هذه الأبيات، يأمل الشاعر أن يتغير ربيع المجتمع البشري، مثل الطبيعة. وفي البيت الثاني يتحدث عن عنف البشر ويشبّه البشر بحيوان مفترس يمزّق قداسة الإنسانية. ثم يقوم في بيانه الاستعاري بحذف المشبه ويأتي بواحد من لوازمه التي هي الشوكة، وعن طريق الإنزياح وترسيم صورة غير المألوفة يؤثر على القارى لإلقاء كمية العنف بين الناس في العالم ويشتهي أن يرسي مركب الإنسانية إلى الشط والهدو.

مَن يَسألِ التّاريخَ يَعرِف مَن شَيَّدوا لِلعِلمِ خَير مَبَانِي
وبَنَوا حَضَارَتَهم عَلى والعِلمُ خَيرُ دَعَائِمُ العُمرانِ...[20]

يقصد الشاعر أن يعرب عن حضارته العالية فيقول إنّ كل من يسأل عن التاريخ، يفهم أننا شعب نهتم اهتماما

كبيرا للعلم والمعرفة وأننا أنشأنا حضارتنا على أساس العلوم والمعارف، التي هي أفضل داعم للتنمية. وما أثار حيرة القارئ في البيت الأول وواجهه الإنزياح هو المجاز؛ حيث أراد الشاعر أن يقول من سأل عن كتب التاريخ عنّا سيعرفنا؛ لكنه حذف لفظ كتب أو ما في معناه وجاء بالتاريخ في مجاز مرسل لغوى بالعلاقة المحلية.

3-5- إظهار الهوية الحقيقية للغرب والاستعمار

من أهمّ وظايف أدب المقاومة هو تبيين الهوية الحقيقية للمتجاوز والاستعمار والاعتراف بأهدافه الواقعية والتاكيد على عدم التسامح معه. يحزن الحلوي بما أصاب بلده من الظلم وبما يحكمه الأجنبي، ويستعمر أرضه العزيزة التي بناها أجداده الكبار. مجسّدا لنا هويته الحقيقية:

لَم يَسمَعِ الغَربُ شَكواهُ ولَا مَأسَاتُهُ حَلَّهَا في لُعبةِ الأُمَمِ!

ولَم تُفدهُ قَراراتٌ ولا قِمَمٌ كُبرى وَصُغرى بَنَتها أُمةُ

يناقش الشاعر مشاكل الشعوب العربية ويؤكد أن الغرب والمنظمات الدولية لم يروا هذه المشاكل ولم يسمعوا كلمات الشعب، والمنظمات الدولية لحل مشاكلنا هي مجرد لعبة ورمز وفي الحقيقة لاتحل ولو مشكلة بأيديهم.

ثم يقول في أبيات أخرى:

كَم تَعالَت صَيحاتُنا وَتوالَت وَدَعا لِلسلامِ رُسلُ السلامِ!

غيرَ أنَّ الأيدِي الخَفية كانَت مِن وَرَاء تزيدُ فِي الإيلاَم

تتَمَلي بالنارِ تَلتهمُ الشرقُ وتَمتصُّ مِن أسَاهُ الدامي

وَالمَآسِي في الشرقِ للغربِ أعراسٌ وحُلمٌ مِن أجملِ الأحلاَم!

يَشتَهي أن يَرى صُروحَه تَهوي في حُرُوبٍ بالمعوَل الهَدَّامِ[22]

يخاطب الناس ويطلب منهم أن يصبحوا أكثر وعيًا بأن الغرب مسرور بمشاكلهم، وبظهور مستنقع في بلادهم، بما في ذلك أحلام الغرب ويبيّن أن الغرب يحبّ أن يرى صروح المغرب وقصورها تهوي في حروب دامية.

هذه النماذج من شعر عبدالرحمن تدلّ على تفتق الحس الثوري من خلال النظر إلى واقع الشعب وما يلاقيه من ظلم، وما يعانيه من اضطهاد واستغلال تلك الظروف لتوجيه إشارات ثورية هادفة بغية استنفار المشاعر وتحريض الضمائر على التعلق بالوطن.

فإنّ أدب عبدالرحمن الحلوى هو أدب المواطن الاجتماعي البسيط، العامل المضطهد الفقير، المناضل في السر والعلن الذي يعمل لأجل قضية وطنه، وليس أدب شعراء البلاط والقصور اللذين يقول عنهم مالك حداد: «إنّ شعراء البلاط والقصور قد خانوا المثل الإنساني الأعلى الذي يزعمون أنّهم يمثّلونه، كما خانوا الشعر الذي يدعون أنّهم حملة لوائه»[23] وأدبه هو أدب المواطن الاجتماعي الذي قد أدرك مسؤوليته ومسؤولية شعره ورسالته الجديدة أمام التاريخ

والمجتمع فهو قد عالج قضايا المجتمع العربي والمغربى وما يحدث فيها من المحن والأحداث مستخدما في لغته الشعرية من بعض الوجوه البيانية التي من أهمها التشبيه، الاستعاره والمجاز، بجانب استخدامه من صنعة التكرار وجمالياته الدلالية والموسيقاية والتناص والحوار بين النصوص من أنواعه اللفظي والمضموني.

3-6- حلم الوصول إلى الحرية والمستقبل المثالي

تعتبر الحرية والتطلع إلى مستقبل زاهر بروح إحترام الذات من القضايا التي حدثت في حركة مكافحة الإستعمار. الأمل بالمستقبل تشابک مع الروحانيات؛ جاء القران الكريم بالمعنى الروحاني للتطلع إلى المستقبل بصورة صريحة وواضحة فالآيات والقصص والأمثال القرآنية بيان لأمل المؤمنين والصلحاء والمتقين. ففي القرآن أمثلة ونماذج عدة عن الأمل بالمستقبل كسورة يوسف؛ فقصته نموذج للأمل بالمستقبل في رحاب الصبر والمقاومة في سبيل الحق. وايضا طلب النصرة والصبر من الله عزوجل في الصراع ضد الظالم كان من الموضوعات المهمة للشاعر.«يتطلع الشاعر والكاتب من خلف غيوم الإحباط وإليأس الذان يغزوان عيون وقلوب الشعب إلى افق الغد والنصر القريب؛ محاولا أضاءة الأمل في قلوبهم.»[24]

يشير مُحَمَّد عبدالرحمن الحلوي في الأبيات التالية إلى أهمية دور الشهيد والشهادة في النصر والدوام عليه:

كُلُّ شَهيدٍ سَقَى أرضَنَا ليَغسِلَ عنَها القَذَى
غَداً تُشرِقُ الشَّمسُ فِي وَينبُتُ فِى كُلِّ قَبرٍ زَهَر[25]

يُذكّر مُحَمَّد الحلوي أفراد شعبه بدماء الشهداء هادفا القاء افضلا للأمل في قلوبهم؛ يذكرهم بشهداء ضحوا بدمائهم لإزدهار هذه النصرة كواجب إنساني إسلامي. فالشهداء فتحوا الطريق بدمائهم وأكدوا على أن علينا النضال دائما والموت موتة البواسل. هم شهداء قاوموا بقلوبهم المدهفة كالرجال كي يذهبوا بلوث المستعمرين وأهدوا دماءهم دون مطالبات ومقابل. يشبه الشاعر في تشبيه ملموس، دماء الشهيد بماء عذب يغسل قذارة المستعمرين من على سطح الأرض. وفي البيت الثالث يرسم الشاعر آفاقا مطلة وشروقا مليئا بالأمل؛ نستطيع القول بأن الشاعر شبه الصلح والنصرة بشمس تنشر أضواءها في كل الأنحاء لتحيى القلوب وتأتي بالعدالة.

أكثر ما يثير حفيظة الشاعر، هو رفض الخضوع والدعوة له بحجج صيانة الوطن من الانزلاق وغيرها من دعاوى تثبيط الهمم الراغبة في التغيير؛ لأنه رأى بعض مواطنيه في حالة مقاومة صامتة يائسة، ويرى أعذارهم لا أساس لها من الصحة.

فالحلوي يأمل بالنصر ويجتهد لمقاومة اليأس بين مواطنيه قائلا:

لِنُعيدَ مَا عَبَثَ الزمانُ بِهِ ومَا قَد أفسَدَتهُ ضَغَائنُ الإخوَانِ

بِالأمسِ أخطانَا الطَريقَ كَرَاكِبٍ بِسَفينةٍ تَجري بِلا رُبّانِ!

وَاليومَ نثأرُ مِن زمانٍ لَم يكُن مِن طبعِه مَيلٌ إلى إحسَانِ

فَاسعَد أباالحَسَنات بالغُرر التي سَتظلُّ مُثنيةً بكُل لسَانِ[26]

إنه يعرف خطأ شعبه بالأمس ويطلب منهم العبرة بخطأ الأمس والنفاق بين الإخوان ويدعوهم إلى النضال مع زمان ليس في طبعه ميل إلى الإحسان والخير. في البيت الأخير يستعير الشاعر عن تركيب "أبالحسنات" للوطن حيث يشبه وطنه بأب الخيرات والحسنات إشارة إلى كثرة نعمه، ولكن لم يذكر المشبه أى الوطن بسبب سهولة ووضوح الانتقال من الملزوم إلى اللازم. فقد سبّب الاستعارة الموجودة التي هى من نوع الاستعارة المصرحة تزيين الكلام ونوع من الإنزياح بعد ذلك التعبير اليومى عن الوطن والأرض وهكذا جلبت المزيد من المتعة للجمهور. كما هناك نوع من الأمل والفرح في البيت بمجى لفظ أبالحسنات بدلا عن الوطن؛ كأنه بهذا اللفظ المستعار أيضا يشير إلى النصر بسبب ما فيه من الخير في الوطن.

الشاعر يتذكر بعض المعجزات الإلهية لكي يبثّ أمل بالنصر بين شعبه فيقول:

وَأتاهُ جَبرئيلُ يُقرئهُ الوَحـ ـي، وَمَا ظَنَّهُ مِن القُرَّاء

قَالَ: اِقرأ، وَباسمِ ربّكَ فَاقرأ غَير مُستغفَلٍ، وَلاَ نَسّاء

وَتَلقَّى الأُمّي وَحياً تَحدّى بِه فُرسانَ قَومِهِ البُلَغَا ء[27]

الحلوى في طريق الأمل في انتصار شعبه ومقاتلي طريق الاستقلال، يذكّر الناس بنعم الله وبركاته للخلق ويشير إلى المعجزات التي تعطي الناس الأمل بأن الله سيساعدنا في مواجهة الصعوبات.

الحلوي استفاد من بعض ألفاظ القرآن الكريم ومن سورة علق حينما يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا النبي: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**[28]﴾ خلال نصه الحاضر وأضاف على ما وقع للنبى، المعانى الجديدة وهى التوكل على الله سبحانه فى طريق المقاومة والنصر؛ فلهذا نشاهد استخدام التناص في شعره وهو من نوع التناص المتوازي أو الامتصاص.

النتائج

1. حارب مُحَمَّد عبدالرحمن الحلوي، هذا الشاعر الاجتماعي الملتزم بأشعاره المستعمرين وخالف أهدافهم.

2. أهم المؤلفات ضدالإستعمارية في أشعار الحلوي عبارة عن: روح النضال، إفشاء ظلم وعدوان المستعمرين، حب الوطن، هجو المستعمرين، والأمل في النصر.

3. يذمّ مُحَمَّد الحلوي المستعمرين بلهجة صريحة خلال أشعاره وخطى نوعا ما في سبيل تعديل مجتمعه وخدمتها ولم يقصر في هذا الأمر من جهد. فلتوجهاته ضد الإستعمارية بروز واضح في أشعاره فنَرى آثار مكافحة الإستعمار في أشعاره الملتزمة منها والسياسية والأجتماعية.

4.يعتقد الشاعر بأن للناس الدور الأهم في مكافحة الإستعمار لأن حضورهم المثمر يدل على إصرارهم على تغيير مصيرهم فلذا يدعو الشاعر الشعب للجهاد والتضحية. من جهة اخرى يرى الشاعر أن للأطفال كركن من أركان المجتمع دور مهم في هذا النضال ولربما يكونون أشد اشتياقا من آبائهم للجهاد.

5.يتمتع الحلوي ببيان صريح وشجاع في فضح حكام الجور والأستبداد وهذا ما يدخله ضمن مجموعة شعراء الحرية ومناضلي الظلم.

6.يحيي أشعار مُحَمَّد الحلوي روح الحمية والهمة وحب الوطن في نفوس الشعب فهي إنعكاس لآلام الأرض وشعوبها المتألمة.

قائمة المصادر والمراجع :

- قرآن كريم

1-الكتب:

- ألتوجي، مُحَمَّد، (1993م)، **المعجم المفصّل في الأدب؛** المجلد:1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- خوري، رئيف، (1968م)، **الأدب المسؤول؛** بيروت: المنشورات دار الآداب.
- راغب اصفهانى، حسين بن محمّد (1412ق). **المفردات فى غريب القرآن، بإهتمام صفوان عدنان داوودي،** دمشق، دارالقلم/ الدار الشامية.
- سنجرى، محمّد رضا (2010م).**أدب الدفاع المقدس (ادبيات دفاع مقدّس)(موضوعات، نظريات، معرفة اجمإلية بأنواع الأدب)**، طهران: موسسة حفظ آثار ونشر ارزش هاى دفاع مقدّس.
- الشرباصي، احمد، (د: ت)، **سلاح الشعر؛** القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
- المدغرى، عبدالكبير، (1996م)، **أوراق الخريف؛** ط 2. دار الكتاب االعربى: بيروت.
- منية، حنا ونجاح عطار، (1976م)، **أدب الحرب؛** دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي.

- المعوش، سالم (2000م). **شعر السجون فى الأدب العربى الحديث والمعاصر**، الطبعة الاولى، بيروت- لبنان، دارالنهضة العربية.

2- المجلات:

- مرسول مُحَمَّد، مازن، جاسم مُحَمَّد، أفراح، **سوسولوجيا الفقر والأبعاد والتجليات**، وزارة التعليم والعالى والبحث رسمى، ص65.
- ناصري طاهري. عبدالله. (**على ضفاف المضيق-تاريخ**) **بر ساحل تنگه** (**تاريخ**)، مجلة كلمة. العدد 3 . صص (43-48).
- نيكوبخت، ناصر (2001م). **الهجو في الشعرالفارسى**، ط1، طهران، جامعة طهران وجامعة كاشان.
- ناصرى طاهرى، عبدالله، (د ت)، بر ساحل تنگه (تاريخ)؛ مجله كلمه، شماره 3، صص (48-43).

الإحالات:

[1] . ناصرى طاهرى، بر ساحل تنگه (تاريخ): ص 46
[2] . خوري، الأدب المسؤول: ص 46
[3] . المدغري، أوراق الخريف: ص6
[4] . ناصرى طاهرى، على ضفاف المضيق-تاريخ، ص48-43
[5] . www.ektab.com
[6] . ألتوجي، المعجم المفصل في الأدب: ص 73-72
[7] . الحلوي، أوراق الخريف: ص102
[8] . نفس المصدر: ص 342
[9] . نفس المصدر: ص 60
[10] . راغب، المفردات فى غريب القران.
[11] . الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص240-241.
[12] . الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص266.
[13] . نفس المصدر: ص 161
[14] . الشرباصي، سلاح الشعر: 124
[15] . نفس المصدر: ص 225
[16] . نفس المصدر: ص 157
[17] . مرسول مُحَمَّد وجاسم مُحَمَّد، سوسولوجيا الفقر والأبعاد والتجليات: 5
[18] . نفس المصدر: ص 82
[19] . نفس المصدر: ص99

[20] . نفس المصدر: ص 184

[21] . نفس المصدر: ص 223

[22] . نفس المصدر: ص 254

[23]. منية وعطار، أدب الحرب: ص 210

[24]. سنجرى، أدب الدفاع المقدس (موضوعات، نظريات، معرفة اجمإلية بأنواع الأدب)، ص74.

[25]. الحلوى، ديوان اوراق الخريف، ص229.

[26] . نفس المصدر: ص 185

[27]. نفس مصدر: ص 25

[28]. علق/1